

# درء الشبهة فيما نسب إلى الإمام الحسن من تهمة

المدرس الدكتور

جويذة غانم

جامعة عنابة - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - الجزائر

## (التاريخ أخطر محصول أنتجته كيمياء العقل)

### مقدمة:

لم يعد الحديث عن الكتابة التاريخية في هذه اللحظات الحاسمة التي تعيشها الأمة الإسلامية وفي ظل التحديات التي تطرحها المنظومات التأويلية لنظم الخطاب التاريخي العربي الإسلامي أمرا محتوما في أن يؤخذ بماخذ جدي إعادة قراءة الدرس الأخلاقي في القيمة الحسنية، وإمعان النظر في بناء تلك السرديات التي لا نعرف بالتدقيق الكيفية التي تم إدراجها في وصف العديد من المواقع والشخصيات الكبرى التي رفعها هذا التاريخ أو هذا السرد مرة في موقع الإيجاب، ومرة في موقع السلب والإبهام والإيهام، ومقاربة المفارقات بين بعضها البعض، حتى يتم استدراك كنه اللحظات التاريخية الحاسمة خاصة إذا ما تعلق الأمر بذلك التاريخ المقدس الذي عد عنوانا بارزا في تاريخ حضارات العالم، كونه يتعالى في لحظاته التحيزية، في كنه ومقداره وشكله وأهدافه وغاياته عن باقي التواريخ، وإن كان يشترك معها في المسار العام للدورة التاريخ العالمي.

وبالنظر إلى هذه الوصفة التمهيدية، يلوح في أفق المسار العام لهذا التاريخ المعقد المتشابك تاريخا إسلاميا، دونت محطاته وأحداثه من خلال أبرز المؤرخين الذين جمعوا مادة علمية لا بأس بها من حيث الحجم والكثافة، وتراوحت الكتابات في بعض الأحيان إلى ولوجها في الموضوعية، ومن ناحية أخرى إلى التحيز الأدلوجي الذي خرج حتما عن سياق المعقولية الاسمية الجامعة بين

جماعات المسلمين، خاصة فيما تعلق الحديث عن تلك الشبهات التي لحقت بآل بيت النبوة (كالإمام الحسن) الذي لم ترحمه الكتابات العربية والأجنبية، والتي لم تخرجه عن ذلك الإطار الشهواني الذي الخارج عن نطاق الذات الإنسانية العاقلة أما تم النظر إليها من زاوية مفهوم الحقيقة التاريخية نفسها لهذه الذات ومقارباتها بحالات مفهوم الكتابة وإشكالات بناء النص وصور التدوين، الذي كان من المفروض على المؤرخ من أن يدقق ويقارب ويفارق بين مختلف الأخبار والروايات وهذا ما لم يكن في الكثير من الكتابات ولم ينهجه المؤرخين، مما سهل إلى دخول الشبكة في توصيف المشهد الحسنسي كنقطة من بحر واسع من الشبكة التي طالت الكثير من الشخصيات الإسلامية البارزة ومست التاريخ الإسلامي نفسه.

من هذا التعليل تنعقد صلة الوصل مع الإشكالية التالية:

كيف تضاربت الشبه التاريخية على الأمام الحسن؟

وما المقاربات الدلالية للرد عنها في ظل ما يواجهه هذا التراث الإسلامي من تحديات المعاصرة اتجاه الإسلام وجميع أهله؟.

## المبحث الأول

### أزمة التاريخ وإعادة صناعة المعنى

قد سجل التاريخ الكثير من المتناقضات أثناء تدوينه لأهم أحداث التي جرت في عهد النبوة وما بعدها، وتداخلات المقدمات بالنتائج، وتفارقت السوابق باللاحق، وتضادت الحقائق بالمعلولات المشتبهة والمفبركة، حيث أعلن التاريخ لا موضوعيته في الكثير من المحطات الحاسمة التي لا يرحم فيها العقل مجرى الكتابة والتوصيف، حين يحال الأمر على النقد والتفكيك، والمقاربة والمقارنة والتأويل، ليقع وصف العظماء في محنة تاريخ لا تاريخي، مدسوس ومغشوش، لا ينفصل عن لغة الاتهام والإبكام، ولا عن إجماع نزيه متفرد في الوحدة الموضوعية والذاتية خاصة لشخصيات آل البيت وعظماء وأقطاب السير النبوي.

ليس الحديث عن هذا التوصيف يقع بمعزل عن صورة التاريخ الذي وقع حتما في تشكيل قاعدة للتحريف والتزوير، حيث يشهد على كل هذا الأمر تلك المتناقضات الوصفية أو التوصيفية التي طالت أحد أبناء بيت النبوة وهو (الإمام الحسن) وإن كان التاريخ لا يسامح شرعنة هذه التوصيفات، فإن هناك تاريخ آخر يسمح بها، ويؤسس لها، ويثبت القاعدة الموضوعية واللاموضوعية في الآن نفسه، حتى تقع الصورة المتناقضة في النص المكتوب الذي أدرج في سمته اللغوية على مطلقة الحقيقة التاريخية الأصيلة.

إن الحديث عن الحقيقة التاريخية، يستلزم عنها، الحديث عن البنية التاريخية التي صنعت وشكلت مرآة الحوادث والمسارات، في تلك الكتابات التي اتخذت من الشبه فلسفة خاصة في تكوين المواقف وصناعة الملاحم الفتنية والأبواق النقدية الفاشلة والوهمية، فما يهم إذن قبل الذهاب إلى دراسة الحالة هو النظر في محتوى المنهج التاريخي، الذي يعني:

• أن يكون منهج عادل يتعامل مع معطيات الكتابات والتوصيفات بروح علمية مخلصه، صريحة وواضحة وشفافة، حيث يتم تقبل ما يمكن تقبله ورفض ما يمكن رفضه، ولا يحتمل قبوله، وبالتالي الذهاب إلى موقف وسط، يرفض الاستسلام بكل سهولة إلى الرواية القديمة، وعدم إغائها، كونها تحمل حقيقة لا يمكن تجاهلها، إذا ما تم إعادة النظر في بنيات الرواية ونيات تكوينها وظروف تشكيلها.

• النظر النقدي في لب الروايات الأساسية لدى المؤرخ القديم، والسعي إلى تصنيف الروايات حسب ضعفها وقوتها، واشتباها وتقدير اختلافها.

• تبيان التناقض المتواجد في الروايات وتبيين علة هذا التوصيف، الذي قرره نصوصها، من حيث مواقف المؤرخين القدامى والمحدثين، وكذلك فلاسفة التاريخ الذين تعاملوا مع تاريخنا الخاص ودرسوا جوانبه بكل أبعاده من

حيث تفهم المعطيات التي نسجت الوصفة المشتبهة للحالة المعروضة للدرس، واستقراء جوانبها المنطقية ضمن الحقيقة التاريخية ذاتها، أو تبيان تناقضها في الكثير من الت موضوعات المنسوجة.

• النظر في الروايات بحس نقدي فائق، يجاوز الوقوع في حلبة الفتن والتمزق والصراع المذهبي الذي أوقع الأمة في معركة لا نهاية لها، تغلبت عنها ظروف الفتن والأهواء والتطاحن والعداء المشحون بين أفراد المجتمع الواحد، والذي سببه يعود إلى موقع هذه الروايات التي شوهدت الحقيقة وغيرت المسارات في وحدة المجتمع الإسلامي، وأعدت توجيه الإسلام إلى مساحات مجهولة من المعقولة المتطرفة أخرجته عن مفهوم الواقعة التاريخية الأصلية والأصيلة ذاتها<sup>(١)</sup>.

وبالنظر إلى مرجعية التاريخ الذي تم كتابته، ووفقا لنزوات غير مفهومة ولا معقولة، فإن مثل هذه المشكلة التاريخية هي مشكلة الإنسان في التيه المعتم والأعمى والضال عن كل أبعاد الوعي المشروط الذي ارتبط بعنوان وجوده واسمه ودينه ومعارفه الذاتية، حيث يتضح من كل هذا أن ما دون في نمط هذه الكتابات شكل كذبة شرب بها، ومنها، الناس، ولا يزال يشربون، وعنه شربوا كل دماء إخوتهم باسم ذلك العقل، وذلك الإجماع الذي أجاد في أغلب اللحظات التاريخية والمصيرية فلسفة توحيل التراب<sup>(٢)</sup>.

إلى جانب هذا الأمر الواقع في البحث عن الحقيقة ومقتضى الكشف عنها، فإن تشكيل الإنتاج المعرفي وبناء الحوادث قد بُني على العناصر الآتية:

- تضخيم التصور أو التمثل الحاصل في وصف الشخص وتقدير الحالة.
- تطويع السرد وجلب لامعقولة في وصف أركانه ومحطاته.
- تبيان التناقض بين الإيجاب والسلب في الوصف الواحد والنص الواحد.
- وضع نصي وصفي، في وسط نص محفوف بالشبه اللذية والإثارة الجنسية

تارة والتملقية تارة أخرى.

• إذا كان الحديث عن لا موضوعية المستشرقين في توصيفهم للتراث الإسلامي الذي لم يخرج عن دائرة التوصيف التمييزي لأشخاصه ومفاهيمه وأحداثه، فإن المؤرخين العرب قد سبقوا المستشرقين في ذلك، وفتحوا لهم المجال في استعراض شبهاتهم، وتهمهم على قادة الإسلام وتاريخه وعظمائه.

• إعادة النظر في مفهوم الرواية التاريخية ذاتها وتنقيحها في لقاء جامع بين جميع مذاهب المسلمين حتى لا يقال عنا "أنا نملك أسوأ أنواع التاريخ" (٣).

ومن هذا المنطلق، يمكن التطرق إلى الحديث عن تلك الشبه، التي طالت الإمام الحسن في نصوص الكتابات التاريخية، والتي لم تتخذُ بدءاً للنقد الوقائع، التي ترافقت مع سلسلة من التهم التي جسرتها عمداً خلفيات تاريخية يمكن استجوابها بالنظر النقدي للنصوص التي ستعرض في هذه المباحث .

## المبحث الثاني

### في حقيقة الشبهة ومدار التهمة

إن الوعي الإنساني دائماً بحاجة إلى تلك الخصائص والميزات التي تنفرد بها شخصية عظمى في التاريخ الإسلامي، ولطالما كان الحديث عن آل البيت في مصاف الحديث الأخلاقي والرمزي للإقتداء بمعالمهم، وأعمالهم، وأحلامهم، وآمالهم، ذلك أن حال الإقتداء بهم، تعلله تلك المشروطة الضخمة والواسعة، التي تميز بها الدين الإسلامي، من خلال الوجهة الموضوعية لمساحات العبادة والخلافة والتكريم والعمارة والأخلاق والمواقف، وقد عبرت اللحظة الحسنية عن ذلك المفهوم الأسمى الذي تجلّى في الصلح والعتو عند المقدرة، والغنى والسكينة عند الفاقة والحاجة، والعطاء والسخاء في لحظة إبداء الاحترام للرعية وتلبية

حاجاتهم، وهو في هذا الأمر على حد قول الإمام علي "لا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتم أكلهم، فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق"<sup>(٤)</sup>.

أمام هذه الحالات الإيجابية للشخص المشهود له بهذه الصفات، يكون درء الشبهات عنه ليس بالأمر الصعب، وإنما الدفع عنه وإبعاد التهم، ستسهل إدراك الوضع في كتابات التاريخ، وبالنظر إلى نسب الإمام الحسن الشريف، وجدده النبي العظيم، وأباه الحكيم الفهيم، وأمه ريحانة العالمين، وأخوه شهيد مآسي صنفين، تتحطم الشبهة وتدرأ التهمة، لكن الشيء القلق والدائم في التساؤل، لماذا وضعت هذه التهم والشبه؟ ومن واضعها؟ وكيف اختلفت وتموضعت وتأصلت في صناعة موقف تاريخي، لا يخرج إطاره عن صناعة مشهد دائم في الشقاق والنفاق؟.

لماذا لم يتساءل المؤرخون القدامي عن أحقيتها ونسبتها؟

ولماذا سكت النقد التاريخي عن ذلك؟

**شبهة مزواجه ومطابقه:**

فقد أجمعت أغلب الكتب التاريخية على أنه تزوج مائة وخمسون امرأة وقد قيل ثلاث مائة حيث أن أباه عليه السلام كان ينصح الناس عنه ويقول لهم في خطبته أن الحسن مطلق فلا تنكحوه. على حسب ما استند عليه المجلسي من رواية أبو الطالب المكي في كتابه قوت القلوب<sup>(٥)</sup>.

كما روي عن محمد بن سيرين، أن الإمام الحسن، خطب ابنة منظور بن ريان، فأجاب هذا الأخير بالقبول، ولكنه قال للحسن: والله إنني أعلم إنك غلق، طلق، ملق، غير أنك أكرم القرب بيتا وأكرمهم نفسا<sup>(٦)</sup>.

ويواصل المجلسي حديثه عن وصفات تزويج الحسن، ويضيف نصا بصيغة همدانية، يؤكد فيه أولا الإمام علي للناس ومن فوق المنبر ومن خطبة لجميع الناس، إعلانا وتشهيرا بابنه على ألا يزوجه ولا يناسبوه، ولا يقربوه؟ وبالتالي

فإن الإمام علي قد تخلى عن ابنه وتبرأ منه وأصبحت مصلحة الناس أولى من مصلحة ابنه؟

وهل يعقل أن يصعد علي عليه السلام فوق المنبر ويشهر بابنه الذي هو تشهير بسمعته وسمعة آل البيت جميعاً؟ فأى منطق وأي عقل يتقبل هذا التشويش اللاعقلاني؟ وهل الإمام علي سخيّف العقل لهذه الدرجة؟

ويقدم النص التاريخي صورة الرجل الهمذاني الذي أصبح أهم من الإمام علي في محافظته على سمعة الإمام الحسن، لترفع كلمته أمام الناس وكأنه تكذيباً لعلي وتحدياً له، حينما يقول: بلى والله لنزوجه وهو ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين وإن شاء أمسك، وإن شاء طلق<sup>(٧)</sup>.

عجيب حقاً هذا التصوير، علي يطعن في ابنه؟ ورجل آخر يوفي بحق الحسن أمام الناس، دون أبيه علي عليه السلام؟

فأي مفارقة وأي معانقة لكلا النصين؟

كما وصف علي أنه مطلق للنساء، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه، كما أنه كان يتزوج لمدة أربعة أيام، لسبعة أيام، ثم يطلق<sup>(٨)</sup>.

ورغم هذه الصور المشوهة والمشبوهة، فإن نساء بني هاشم قد حزنت عليه سنة كاملة لفقدانه، فلو كان بمثل ما هو كائن في النصوص التاريخية لسبته النسوة، وأعلنت بهجتها وفرحتها في ذهابه اللانهائي للرفيق الأعلى<sup>(٩)</sup>.

لذا فإن النص التاريخي ينقض ذاته بذاته، ويبرأ الشخص ذاته من التهمة التي نسبت إليه. كما جاء هذا الوصف أيضاً في كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي حيث يقول:

"أخرج بن سعد عن جعفر بن محمد بن أبيه: كان الحسن يتزوج ويطلق، حتى خشيت أن يورثنا عدواة في القبائل"<sup>(١٠)</sup>.

ولو كان يمثل ما اتهم به، فلماذا لم يجلب عداوة القبائل كلها؟.

كما ذكر القول نفسه، في ترجمة للإمام، في البداية والنهاية لابن كثير، والكامل في التاريخ لابن الأثير، ما يطرح علامات استفهامية إبستمولوجية لعدم نقد هذه النصوص من طرف هؤلاء المؤرخين.

أما محمد رضا فقد أقر أن زواج الحسن المتعدد والمتكرر، أرجعه إلى سير عادة العرب أنفسهم، بحكم أنه لا رهبانية في الدين، ويعلل الأمر بضرب تلك الشهوة المندفعة عند الرجال وهذا أمر من الطبيعة السارية في بني آدم<sup>(١١)</sup>.

ومن ثم تكتسي الكتابة التاريخية، في وصف الإمام الحسن، مخرجاً لا نهائياً يطرحه النص التاريخي نفسه في سؤال متجدد، ماذا بعد تهمة المزواج والمطلاق؟.

### شبهة شحه وبخله:

إن الافتراء على الإمام الحسن بالبخل لهو أمر يتنافى مع أخلاق رسول الله، حينما كان يتقاسم طعامه مع الفقراء، ويؤثر على نفسه ولو كان بحاجة ماسة إلى تلك الحاجة.

وبالنظر إلى تاريخ العرب فإنهم عرفوا بالكرم وكثرة الإقبال عنه ودرء الشح والبخل والصد عنه، وإذا كان الحسن ميراث أبيه وجده، فهل هما على نحو هذا البخل والشح؟ أم أن الملازمة المنطقية للسؤال لا تفيد من أمر المقاربة شيء؟. وبالتالي يتنافى في فعله وقوله ومسلكه ما جاء في القرآن، من حيث دلالات المعنوية التي أوردتها الآيات التالية:

• ﴿الَّذِينَ يَخُلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١٢).

• ﴿لَنْ نَأْكُلَ الْبَرِّ حَتَّىٰ نُثَقِّفُوا مِمَّا تَحِبُّونَ وَمَا نُثَقِّفُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (١٣).

وقد روى ابن عساكر أن الحسن كان لا يدعوا لطعامه، ويقول هو أهون من أن يدعى إليه<sup>(١٤)</sup>. قصدا لاحترام الناس وتوقيرهم الذي يحمل في جوهره معاني فائقة في الدلالة لمفهوم الدعوة والضيافة من المنظور الحسني.

وقد جاء في ابن الأثير، أنه سئل ذات مرة فما الشح؟

قال: أن ترى ما في يدك صرفا وما أنفقتة تلفا<sup>(١٥)</sup>.

كما أشار السيوطي في أن الإمام الحسن كان سيداً حليماً، ذا وقار وحشمة، جواداً ممدوحاً<sup>(١٦)</sup>.

وقد أبرز هذه الصورة الإيجابية التي تميز بها الحسن ما جاء في كتاب صلح الحسن ما يلي:

"... خرج الحسن والحسن وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتتهم أثقالهم، فجاجوا وعطشوا فرأوا عجوزا فاستسقوها، فقالت: هذه الشويهة احلبوها وامتدقوا لبنها، ففعلوا، واستطعموها، فقالت: ليس إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم فذبحها أحدهم، وكشطها، ثم شوت لهم من لحمها فأكلوا، فلما نهضوا قالوا ك نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا عدنا، فألمي بنا، فإننا صانعون بك خيرا، ثم رحلوا، فلما جاء زوجها، أخبرته فقال: ويحك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم، ثم تقولين: نفر من قريش، ثم مضت بها الحال، فرحلت حتى اجتازت بالمدينة، فرآها الحسن فعرفها، فقال لها: أتعرفيني؟ قالت: لا، قال: أنا ضيفك يوم كذا وكذا، فأمر لها بألف شاة؟ وألف دينار، وبعث بها إلى الحسين فأعطاها مثل ذلك، ثم بعثها إلى عبد الله بن جعفر فأعطاها مثل ذلك"<sup>(١٧)</sup>.

وإذا اعتبرنا أن هذه التوصيفات ذاتها عقلا، فإن العقل يفسد الحقيقة أكثر مما يفسدها كاهن المعبد، لأنه نتاج بشري، وما هو بشري متهم في أوساخه، ولا يمكن أن يسمى أيضاً بالعقل البشري، هو في الحقيقة ركام من تاريخ بشري مرتبط بعقد البشرية ونفاقها ومصالحها وظروفها وجبنها وجهلها، وهكذا فإن العقل لا يمكن أن

يكون نقياً، خاصة إذا ما اختلط وامتزج بمكونات الوهم وآليات نسج الفساد<sup>(١٨)</sup>.  
وإذا كانت هذه الصور لم ينسجها التاريخ في إطار واحد، وبانتقائية أصيلة لتلك الدواخل الخارجة عن نطاق الإمام الحسن، فإن مهمة العقلانية الصرفة تقف بتقددها الصارم أمام التموضوعات النموذجية للفهم البشري الحاصل في توصيف الأشخاص والأحداث والوقائع.

### شبهة طرد الحسن لأبوبكر من المنبر:

ذكر راضي آل ياسين أن من ملامح سلطانه وهو صيباً، حينما جاء إلى أبو بكر وهو على منبر جده رسول الله، فقال له "انزل عن مجلس أبي"<sup>(١٩)</sup>.

وفي موقع آخر ذكر هذا الوصف:

بينما كان المسجد مكتظاً بالأصحاب والناس محيرة الألباب، في أوائل خلافة أبي بكر، وإذا بالإمام الحسن ينبري ليبين الحق ويعيده إلى نصابه أو يمهده له، فعندما نظر إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله قام بين الجموع صارخاً، "انزل عن منبر أبي" وفي رواية أخرى "انزل عن مجلس أبي".

ولكن أبي بكر تدارك وقال: "صدقت إنه مجلس أبيك ثم أجلسه في حجره وبكى".

فقال علي: والله ما كان هذا عن أمري، قال أبي بكر: صدقتك والله ما اتهمتك<sup>(٢٠)</sup>.

وهذا النص يُحمل الحسن شبهة كبيرة، ليست من سنه، ولا من جنسه، فيما يخص هذا الموقف الذي أوضح في بنيته الدلالية والتحتية تبرئة الحسن منه، وتبيان نية أبي بكر لما قال لعلي: صدقتك والله ما اتهمتك، التي طرحها المنطق الديني والتاريخي الأصلي لهذه الصورة.

استغلت تلك الصورة الطفلية البريئة التي تم شرحها في بعض الكتابات، على

أن الحسن وهو صغير جدا قد أدرك النية السيئة لأبي بكر في أخذه الخلافة من جده رسوله، وأنه لا مقام له على المنبر، وحاولت أن تضع هذا النص في صورة تأويلية فضفاضة قسمت الإسلام إلى قسمين، ووضعت في موقف مشحون بالعداء تارة، وبالفطنة تارة أخرى، رغم أن النص لم يتجاوز قدره في ذلك، والحادثة نفسها لم يكن لها هذا التحجيم، لأن من شروط المعقولة في الإسلام هو البلوغ، والإمام الحسن لم يصل إلى هذه المرحلة، فكيف له أن يدرك بدقة التي تأول بها بعض المؤرخين الأدلوجيين النص ذاته؟.

وكيف قبلوا بصورة تحميل شك الحسن اتجاه أبو بكر، كون الشك والظن صفة سلبية، نهى الإسلام عنها، وبالتالي فإن هذا الشك ذاته ينقض مفهوم عصمة الحسن ذاتها، لأن المعصوم من المفروض أن يكون منزها عن هذه الشبه؟.

كما تشير أمثال هذه الكتابات أن الموقف نفسه حدث مع عمر بن الخطاب والحسين، ومن ثم فإن أبو بكر لم يسارع لاتهام علي في قضية كهذه كونه ليس من صالحه ذلك، أما بالنسبة لعمر فقد رأوا فيه أنه أراد الحفاظ على حكمه، فسارع إلى معرفة الإرهاصات ومصدرها، كي يتحصن ويبقى في حكمه<sup>(٢١)</sup>.

ولو كان هذا الموقف قد تم استيعابه سلباً بالنسبة للحسن والحسين، فلماذا يسميان فيما بعد أولادهما بأبي بكر وعمر وعثمان؟ ولماذا لم ينقلب الناس ساعتها على حكمهما؟.

### شبهة تشاجر الحسن والحسين وتدخل أبوهريرة:

وبالنظر إلى حديث ابن هريرة الذي حول رواية شجار الحسن والحسين فإن الصورة الأساسية للموضوع قد تم تضخيمها تضخيماً لا معنى له كما أنها تنقض رواية نفسها بنفسها وتفضح أساليب الكتابة التاريخية التي أرادت ان تضخم هذا الشجار، وقد جاء في حديث أبو هريرة ما يقول فيه:

"فبلغني انه بين الحسن والحسين هجران وتشاجر، فقلت للحسن، الناس

يقتدون بكما فلا تتهاجران، واقصد أخاك الحسن، وأدخل عليه بكلمة فإنه أصغر منك سناً" (٢٢).

ليؤول هذا المعنى إلى مساحة مفترقة في منهجية لفظية حوارية عقيمة، وتجعل من الحسن والحسين لا ينكبان إلى طاعة الكبير ولو كان الأمر يتعلق بمقدار إدراك حجم مصلحتهما أمام الناس، كما لم يكن أبو هريرة على حسب تفكيك النص أي خلفية سلبية أخرى اتجاه أحفاد الرسول لله سوى توقيهرهما، وكان مدركا جيدا لمكائنتهما وسط القبائل والعشائر والأقوام. ولو أن أبو هريرة يكن لهما العداوة والبغضاء، لماذا بكى عن الحسن على باب مسجد رسول الله وهو ينادي بأعلى صوته:

يأيها الناس مات اليوم حب رسول الله فأبكوا" (٢٣).

وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية نفس النص، ليتبين بكل موضوعية مدى العلاقة التي كانت تربط الحسن والحسين بمن هم أكبرهم سناً. ومن ثم فإن هذا التأويل السلبي قد يزيد الشبه تثبيتا، والتهمة تموضعا وترسيخا، حيث لا يحتاج الإسلام لمثل هذه المواقف التي تفكك رابطة وحدة الإسلام، وإذا كانت بالفعل قراءة الأحداث تكون بعين جامعة لكل الجوانب والظروف التي تدرأ بكل قوة وحزم ما يسيء للإسلام وعظماؤه، فإنه سيستدرك وبلا ريب تلك المواقف التي استغلها المستشرقون في تنميط الحقائق التاريخية الإسلامية وتشويهها، ولأننا ولحد الآن لم نقدم نقدا موضوعيا وابستيمولوجيا لمثل هذه النصوص المشبوهة والمشكوك في أمرها، لدرء تلك القراءات الفاسدة التي تؤول المعنى على حسب ما تألمه ذاتها الإستشصالية، وقد صدق عبد الرزاق الجبران لما قال:

"إن المعرفة والتاريخ الإسلاميان يصلان حد القرف أحيانا، لذا لا يحق معهما توصيفا، أنهما مجموعة من ركام المقولات يمكن حل زورها، بطرحها جانبا، لا يصح ولا يمكن ولا يجدي ذلك في تجديد الدين وإصلاحه، لأنها منصهرة

وجوديا فينا (...). إذن لا يحق مفهومًا لتوصيف نبد تلك المقولات في قرفها إلى مفهوم التقبوء والاستفراغ" (٢٤).

وإذا كانت الشبه التي وردت في هذا التحليل، لا تخرج بمنطق المفارقة، الذي يجعل من الشخصيات الكبرى في الإسلام موقوفة لمعالجة قضايا الشك والتزوير والتحريف والافتراء فإن إهمال هذه القضايا، سيؤدي بالضرورة إلى فشل وضياح جهود علماء الأمة في دفاعها عن الإسلام وشخصياته، خاصة في ظل التحديات التي تطرحها القضايا المعاصرة وقراءتها التفكيكية الهدمية للتراث الإسلامي والوحي القرآني والإرث النبوي. هذا ما يستدعي إعادة قراءة التاريخ بجميع علومه المعاصرة، ومن حيث حالاته وظروفه القديمة التي نشئت فيها الأحداث والوقائع، يجعل من الحس التاريخي يتموقع في إدراك جديد ولغة جديدة، تتعالى عن منطق التجزيء الدوغمائي والتفتيت الإستيلابي للتاريخ الإسلامي، الذي هو وعي الجماعة البشرية الإسلامية نفسها، والتي هي في أصلها متعالية عن قيم الشك والشبهات والتهم التي طالت ولا تزال تطال هذا التراث من جميع وجوهه وعلاماته. يكفي أن ندرأ عنه هذه الشبهات بمنطق متعالي عن المذهبية التي ستمزق الإسلام فيما بعد إلى ما لا نهاية.

### الخاتمة:

- إعادة النظر بكل موضوعية ومنتهى الصرامة العلمية في النصوص التاريخية التي شوهدت الكثير من المواقف التاريخية، وزورت حقيقة الشخصيات العظيمة في الإسلام.
- وضع قاعدة تأويلية تأولية بمفهوم اللحظة التاريخية، ومناقشة مفهوم الحوار التزامني لمسألة الجدل المنبث من النصوص نفسها.
- إعادة الاعتبار للتاريخ وللمعرفة التاريخية، التي لا تنفصل بدورها عن المنهجية الكتابية التي فرضتها حالات التدوين، المنبثقة من نظام سياسي

معين، وتحليل علاقة القربى بين هذه الشخصيات والسلطة السياسية آنذاك، ثم أخذ في الاعتبار حالات الدس التي كان الهدف منها تقسيم صفوف المسلمين.

• البحث عن استراتيجية واضحة المعالم، متناسقة المناهج، لتأسيس فلسفة في درء الشبهات عن التراث الإسلامي الحقيقي.

• البحث في آليات الدس ومنشأها، حتى يتم التمكن من تحديد العلة من وراء الوضع، وبالتالي ضرورة الاستعانة بالجرح والتعديل وإعادة الاعتبار لهذا المنهج لأنه أصل قيام المنهج التاريخي النقدي.

### هوامش البحث

- (١) عماد الدين خليل، (مدخل إلى التاريخ الإسلامي)، الدار العربية للعلوم ناشرون، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٢٩.
- (٢) عبد الرزاق الجبران: (جمهورية النبي عودة وجودية)، ص٢٨.
- (٣) عبد الرزاق الجبران: جمهورية النبي (عودة وجودية)، ص٣٦.
- (٤) الخميني: (الحكومة الإسلامية)، محاضرات فقهية، اذى الحجة، ١٣٨٩هـ، ص١٠.
- (٥) محمد باقر المجلسي: (بحار الأنوار)، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة تحقيق التراث العربي، بيروت لبنان، ط١٤١٢هـ/١٩٩٢م، المجلد ١٤، ج٤٤، ص٥٦٤.
- (٦) محمد باقر المجلسي: (بحار الأنوار)، ص٥٤١.
- (٧) محمد باقر المجلسي: (بحار الأنوار)، المرجع نفسه، ص٥٤١.
- (٨) ابن عساكر: (ترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق)، تحقيق، محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، ط١، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٥٥.
- (٩) ابن عساكر: المرجع نفسه، ص٢٨٨.

- (١٠) السيوطي: (تاريخ الخلفاء)، دار مروان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ١٧٨.
- (١١) محمد رضا: (الحسن والحسين)، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٢.
- (١٢) سورة النساء، الآية ٣٧.
- (١٣) سورة آل عمران: الآية ٩٢.
- (١٤) ابن عساکر: (ترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق)، ص ١٥٦.
- (١٥) ابن كثير: (البداية والنهاية)، مؤسسة التاريخ العربي، مؤسسة التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٤٤.
- (١٦) السيوطي: (تاريخ الخلفاء)، ص ١٧٧.
- (١٧) راضي آل ياسين: (صلح الحسن)، مطبعة الزهراء، بغداد، (د.ط) ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، ص ١٦، ١٥.
- (١٨) عبد الرزاق الجبران: جمهورية النبي (عودة وجودية)، ص ٣٥.
- (١٩) راضي آل ياسين: (صلح الحسن)، ص ١٦٢.
- (٢٠) عايدة عبد المنعم طالب: (الإمام الحسن في محنة التاريخ)، دار الرسول الأكرم، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ١٣٩.
- (٢١) عايدة عبد المنعم طالب: (الإمام الحسن في محنة التاريخ)، ص ١١٤.
- (٢٢) عايدة عبد المنعم طالب: (الإمام الحسن في محنة التاريخ)، ص ١١٨.
- (٢٣) ابن عساکر: (ترجمة الإمام الحسن من تاريخ دمشق)، ص ٢٢٨.
- (٢٤) عبد الرزاق الجبران: جمهورية النبي (عودة وجودية)، ص ٩٨.

### قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ١- ابن عساکر: (ترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق)، تحقيق، محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ٢- ابن كثير: (البداية والنهاية)، مؤسسة التاريخ العربي، مؤسسة التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- ٣- عماد الدين خليل: (مدخل إلى تاريخ الإسلام)، الدار العربية للعلوم ناشرون، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- ٤- عابدة عبد المنعم طالب: (الإمام الحسن في محنة التاريخ)، دار الرسول الأكرم دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- ٥- محمد باقر المجلسي: (بحار الأنوار)، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة تحقيق التراث العربي، مجلد ١٤، ج٤٤، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ٦- محمد رضا: (الحسن والحسين) دار الكتاب العربي، تحقيق، خليل مأمون شيحا، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ٧- السيوطي: (تاريخ الخلفاء)، دار مروان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
- ٨- راضي آل ياسين: (صلح الحسن)، مطبعة الزهراء، بغداد ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.
- ٩- عبد الرزاق الجبران: جمهورية النبي (عودة وجودية).
- ١٠- الإمام الخميني: (الحكومة الإسلامية)، سلسلة محاضرات فقهية .